

— ١٠٢ —

له الإنسانية بمجرد وجود الأعضاء فيه بل باستقبال هذه الأعضاء لمصدر فعلها وحركتها. وهو الروح. فالروح إذن هي الكمال الأول لتكوين جسم الإنسان. ودليل الأقدمين على أن الروح جوهر مجرد يلخصه الشهرستاني في كتاب نهاية الأقدام في علم الكلام إذ يقول : « إن العلم المجرد الكلي لا يجوز أن يحل في جسم ، وكل ما لا يجوز أن يحل في جسم فاذا حل في غير جسم ، فالعلم المجرد الكلي إذا حل حل في غير جسم » ويؤيد ذلك أنه غير قابل للانقسام . ويوشك الأقدمون والمحدثون أن يتلاقوا في توصيح المشكلة التي تنجم عن القول بتجرد الروح ثم القول بتأثيرها في الأجسام .

فالأقدمون يجعلون الجواهر المجردة درجات في التلبس بالمادة وقابلية الاشتراك معها في عملها ، فلا يؤثر الجوهر المجرد في المادة مباشرة بل يؤثر فيها بواسطة جوهر يقاربه من جهة ويقارب المادة من جهة أخرى .

والمحدثون يقيمون هذه القنطرة بين العالمين — عالم الروح وعالم المادة — بفروض كثيرة . منها أن الغدة الصنوبرية في الدماغ هي ملقح الروح بالجسد ، ومنها أن يرتفعوا بالمادة الجسدية إلى غايتها من الصفاء لكي تنقل الأثر من عالم الروح ، ومنها أن يزيلوا العجب من تأثير الأرواح في الأجسام بقولهم إن تأثير الروح في الجسد ليس بأعجب من هذه المؤثرات التي نراها تقع من الأجسام . فلا داعي للجزم بامتناع أثر الجوهر المجرد في صور المادة على اختلافها بين الجوامد والأحياء .

وكل فرض من هذه الفروض لا يزعم صاحبه أنه قال في معضلة الروح قولاً بغنيه عن التمثل في هذه المعضلة بالآية القرآنية الكريمة : « قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » .

* * *

والماديون الذين يقولون بنشأة الحياة من المادة لا ينيبون — بطبيعة الحال — إلى علم الله في معضلة من المعضلات . ولكنهم ينيبون على الرغم منهم إلى رأى في تعليل الحياة هو أعجز وأبلغ في التسليم من إنابة المؤمنين . لأن قصارى ما ذهبوا إليه أن الحياة حصلت لأنها حصلت ، أو لأنها قابلة للحصول .